

الترفيه العربي والاستعراض الإيراني



بعلم: وائل قنديل...

لستَ في حاجة إلى أن تعدد انتقاداتك المتنوعة للسياسة الإيرانية في المنطقة، لكي تصل إلى نقطة الإشادة والإعجاب بالرد الإيراني على غطرسة الكيان الصهيوني وتحدي داعميه ورعايه العدیدين.

لستَ في حاجة إلى إعلان معارضتك التي تصل إلى حد القرف من الأدوار الإيرانية، ولستَ بحاجة إلى أيّ من أشكال الاستعاذه لكي تبلغ الموضوع الأساس، وهو الإقرار بأن الضربات الإيرانية على الكيان الصهيوني هي من الأشياء التي تثلج الصدر وتؤسس لمعادلات جديدة في منطقة الشرق الأوسط، وتسقط أوهاها عشّشت عقوداً في العقول بأن إسرائيل قوة جباره لا يستطيع أحد منازلتها أو معاملتها الند بالند، كما أن هذه الضربات تعرّي المطمور والمسكوت عنه في العلاقات العربية الصهيونية.

من أهم ما أسفرت عنه الضربات الإيرانية ضد المحتل أنها بعثت الحياة في التصوّرات النظرية، وفي أفكارنا عن حجم العلاقات بين محور التطبيع العربي وبين الكيان الصهيوني ومستواها، وترجمت هذه

التصوّرات إلى واقع يتشكّل ويتحرّك على الأرض، ويعبر عن ذاته بهذه الانتفاضة الرسميّة العربيّة ضدّ المسيرات والصواريخ الإيرانية، لمنعها من إصابة عمق فلسطين المحتلة، حيث يسيطر الاحتلال على الجغرافيا والتاريخ هناك.

أيضاً، أكدت هذه الضربات المؤكّدة، وأظهرت أن الاصطفات معها أو ضدّها هي مواقف جرى اتخاذها مسبقاً، قبل الإعلان عن بدء الهجوم الإيراني الواسع على "إسرائيل"، وهي اصطفات طائفية معروفة قبلاً، ومتوقّعة من أصحابها، بحيث يمكن القول إن ردّات الفعل على الخطوة الإيرانية كانت جاهزة ومستعدّة للانطلاق قبل انطلاق العملية الإيرانية، فمن أراد اعتبارها مسرحيةً أعلن أنها مسرحية قبل أن تبدأ، وسيبقى على موقفه، حتى لو أدى الهجوم إلى تدمير مفاعل ديمونة نفسه، أو هدم الكنيست ذاته.

والحال كذلك، من العبث إهدار الوقت في محاولة إقناع أحد من المتخندقين طائفياً أن تحلق مئات الطيارات المسيّرة والصواريخ بعيدة المدى لمسافة أكثر من 1700 كم انطلاقاً من الأراضي الإيرانية حتى تل أبيب والقدس المحتلة، وإصابة بعضها مطاراتٍ صهيونية، هو حدثٌ استثنائيٌّ ونادرٌ وغير مسبوق، على الأقلّ منذ الصواريخ العراقية التي طاولت الاحتلال عام 1991، وأن عملاً بهذا الاتساع لا يمكن أن يكون مجرّد لهوٍ متفقٍ عليه فوق خشبة مسرح.

والحاصل أيضاً أننا بصدق واقع جديد في الشرق الأوسط، يقول فيه رئيس أميركا لدولة في الإقليم: لا تفعلي، فتقرّر هذه الدولة أن تفعل وبكثافة عالية.

والحاصل، كذلك، أننا بصدق الدليل العملي على أن الخطاب السياسي والإعلامي الصادر من محور الهرولة، أو محور الترفيه العربي، انتقل من مرحلة مساواة الخطر الإسرائيلي بالخطر الإيراني إلى مرحلة جديدة كلياً^٣ يعتمد فيها طهران خطراً، وعدوًّا^٤ استراتيجياً^٥ واحد، تحرّك له القوات وتنتصدّى له المقاتلات العربية إن هدّد أمن إسرائيل ووجودها.

لا غرابة في مواقف عربية التقت ذات يوم على حلم تافه بإنشاء "نا تو" عربي لمواجهة إيراني، واجتمعت

في قمةٍ عربيةٍ قبل خمس سنوات قالت عنها الصحيفة الرسمية الأولى في الدولة المضيفة إن "قمة الظهران لن تخرج إلا بقرار تاريخي... السلام مع إسرائيل ومواجهة مشروع إيران الطائفي؛ لأن النتيجة من يرفض السلام يخدم إيران، وعليه أن يتحمل تبعات قراره".

إذن، لا مفاجأة هنا ونحن نرى تحققّـا لما رسمه جو بايدن في الأيام الأولى له في البيت الأبيض، حين أعلن عن نظر إدارته في مشروع كيان جديد في المنطقة يكون بدليلاً لجامعة الدول العربية، يضم الدول العربية وإسرائيل، تحت المظلة الأميركيـة.

لا شيء يدعو إلى الدهشة، فالغارقون في مهرجانات محور الترفيه ومواسمـه صاروا يرون كل الأشياء دراما وفقراتٍ مثيرة في مدن الملاهي العربية الصاعدة، فلا بأس من أن يروا الفعل الإيراني مسرحـة، بينما مهرجانات إسقاط مساعدات قاتلة على سكان غزّـة هو الجدـالـيـمـ.

مرةً جديدة وليسـ أخـيرـةـ، إـیرـانـ جـارـةـ لـلـعـربـ وـجـزـءـ أـصـيلـ مـنـ الـمـنـطـقـةـ، لـدـيـهـ طـمـوحـ قـومـيـ فـيـ الإـقـلـيمـ، فـهـلـ لـدـىـ الـعـربـ مـقـابـلـ سـوـىـ الـحـلـمـ بـالـتـطـبـيـعـ الـكـامـلـ مـعـ الـاحـتـالـلـ؟ـ